ولكنَّكم قومٌ تستعجلون

التدرج سُنةٌ من سنن الله تعالى، وقد وصفنا النبي ﷺ فقال: (وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[1]، وقد يفشل المؤمن في بعض الاختبارات بسبب العجلة.

لقد زلَّ الفاروق رضي الله عنه يوم الحديبية لغفلته عن سُنة التدرج، فسأل أبا بكر الصديق رضي الله عنه مستغرباً: «أَوَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّك تأتيه العَامَ؟، قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ»[2]، وكأن النبي ﷺ يقول: نعم وعدتكم أن تطوفوا بالبيت، ولكن لم أعدكم هذه السنة، ولعلك فهمتَ الآن سرَّ غضب النبي ﷺ من خباب رضي الله عنه عندما سأله: «أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟»[3].

لقد تأملتُ في تربية القرآن فوجدتُ أنَّه يُؤسِّس لعدم الاستعجال، فلله حِكَمٌ وسُننٌ لا بد أن تجري، والله لا يُغيِّر سُننه لأجل المقهورين، بل يُمضي سننه، وينتقم من الظالمين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 57–58]، وقال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء:37]، وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:1].

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 3612.

(2) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 18928.

(3) صحيح البخاري، حديث رقم 6943.